

عوامل تغيير الفرد والمجتمع



ـ "إن" العيب فينا لا في غيرنا، وهذا ما أوصلنا إلى هذه المنزلة والحل بين أيدينا، ولكن عندما نعد العلل، لا ندخل أنفسنا فيمن تفتّك بهم هذه العلل، وعندما نعد الواجبات لا ندخل أنفسنا فيمن يجب عليهم النهوض بهذه الواجبات".

شروط التغيير:

إن من أراد أن يغير الواقع الذي نعيشه سواء على مستوى نفسه وأسرته أم على مستوى جماعته ومجتمعه الكبير يجب أن يحيط علماً ب السنن التغيير، فالមقدمة السليمة لابد وأن تعطي نتائج سليمة، فإذا ما رأينا خللاً في وضعنا الاجتماعي الذي هو نتيجة لأوضاعنا النفسية ولأفكارنا، فلابد أن نراجع ونعيد النظر فيها، فلابد من معرفة سنن التغيير لما بالأنفس كما إنّه لابد من معرفة ما الذي ينبغي أن نغيره، من الأوهام وما الذي ينبغي أن ثبته من الحقائق، ومعرفة من هؤلاء الذين ينبغي أن نجري على ما بأنفسهم هذا التغيير وان اختلفت معادنهم الشخصية، إذ إنّهم مشتركون في أصل البلاء، وهذه المعرفة المفصلة أمر لابد منه للبدء في أية عملية تغيير جاد.

عوامل التغيير:

إن سنن التغيير وعوامله عديدة يصعب حصرها في مقال واحد وسوف القى الضوء على بعض منها:

خطط عملك ولا تكن فوضوياً

استغلال طاقات أفراد الجماعة حسب ميول الفرد

كن قدوة واجهر بالإسلام

اترك الأوهام فإنها خداعه

دون الفكره وسارع في تنفيذها

بالصبر تنموا الحياة

نفسك ابدأ بها .

ثقة بنصر الله وتوكل عليه:

إن كل عمل مرتبط بما قوي يستمد قوته من قوة ملك السماوات والأرض، وإذا أحلمن العبد عبادته وعمله ووجده معه في كل حركة وفي كل سكنة، ووصل إلى مرحلة كنت يده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، ولئن سألني لأعطيكني لاعيذني... وهنا يستعلي المؤمن على هذه الجاهلية. فمهما بلغت قوتها وجبروتها فهي إلى قوة الله لا شيء... لا شيء تماماً "ولذلك فإنه لا ينبغي لأحد يواجه الجاهلية بالإسلام أن يطعن إن الله تاركه للجاهلية وهو يدعوه إلى أفراد الله سبحانه وتعالى بالربوبية. كما أنه لا ينبغي له أن يقيس قوته الذاتية إلى قوى الجاهلية فيطعن إن الله تاركه لهذه القوى وهو عبده الذي يستنصر به حين يغلب فيدعوه (أنسي مغلوبٌ فَانْتَ صَرُّ) (القمر/ 10).

إن القوى في حقيقتها ليست متكافئة ولا متقاربة.. إن الجاهلية تملك قواها.. ولكن الداعي إلى الله يستند إلى قوة الله... وإن يملك أن يسخر بعض القوى الكونية - حينما يشاء وكيفما يشاء - فكن على ثقة ببنصر ربك، واترك وساوس النفس والشيطان، وتذكر إن الدين فتحوا العالم في يوم من الأيام كانوا حفاة رعاة بعيدين كل البعد عن تكنولوجيا السلاح في عصرهم وزمانهم ولكنهم حازوا على تكنولوجيا الإيمان والشقة التي لا تتزعزع بما في أيديهم ونصرهم... فارفع شعار "أنا أكبر" وكن في همة الشاعر عمر بهاء الدين الأميري:

الهول في دربي وفي هدفي ** واطل أمضي غير مضطرب

ما كنت في نفسي على خور ** أو كنت من ربى على ريب

ما في المنايا ما أحذرها ** الله ملء القصد والارب

اعمل من خلال تنظيم يحدث التغيير:

إن العمل الفردي مهما بلغت قوته لا يساوي شيئاً أمام جماعة منتظمة تستغل كل طاقة من طاقات أفرادها، إذ أنها تعمل بعد العقول المنتظمة معها... وهذه سنة الله وإرادة الله في هذه الدنيا...

"إِرَادَةٌ هُوَ الْفَاعِلَةُ فِي النَّهَايَةِ وَبِدُونِهَا لَا يَبْلُغُ الْإِنْسَانُ بِذَاتِهَا شَيْئًا" ، ولكن هذه الإرادة تعين من يعرف طريقها ويستمد عنها ويجاده في إِلَيْهِ لِيَبْلُغُ رَضَاهُ" ومعرفة طريق هذه الإرادة سهل... ازْهَهَ التحرك في هذا المجتمع من خلال عمل منظم تحت جماعة منظمة... "وَالْأَمْرُ كُلُّهُ هُوَ أَمْرُ الْعَصَبَةِ الْمُؤْمِنَةِ الَّتِي تَصْبِعُ يَدَهَا فِي يَدِهِ... ثُمَّ تَمْضِي فِي الطَّرِيقِ، وَعَدَ إِلَيْهَا هُوَ وَاقِعُهَا الَّذِي لَا وَاقِعٌ لَهَا غَيْرُهُ، وَمِرْضَاهُ إِلَيْهِ هُوَ هُدُوفُهَا الْأَوَّلُ وَهُدُوفُهَا الْآخِيرُ. وهذه العصبة هي التي تجري بها سنة إِلَيْهِ فِي تَحْقِيقِ مَنْهَجِهِ، وهي التي تنفس ركام الجاهلية عن الفطرة، وهي التي يتمثل فيها قدر إِلَيْهِ فِي أَنْ تَعْلُوْ كَلْمَتَهُ فِي الْأَرْضِ وَيَتَسَلَّمُ مِنْهُهُ الزَّمَامُ".

- 3- خطط عملك ولا تكون فوضويًا :

"وَمَاذَا عَلَيْنَا نَحْنُ الْمُسْلِمِينَ وَنَحْنُ نَرثُ أَخْطَاءَ لَهَا عَدَةٌ قَرْوَنَ أَنْ نَصْعُبُ خَطَّةً بَعِيدَةً الْأَمْدِ لِكَيْ نَتَخلَّصَ بِهَا مِنْ هَذِهِ الْأَخْطَاءِ، وَلَكِي يَشْعُرَ أَبْنَاؤُنَا أَنَّهُمْ يَحْمِلُونَ عَيْنَاهُ مَعَ الَّذِينَ وَضَعُوا الْخَطَّةَ" ... ازْهَهَهَا سَنَةُ الْتَّغْيِيرِ... بِرْمَجَةِ الْعَمَلِ إِلَى مَرَاحِلٍ وَأَهْدَافٍ وَوَسَائِلٍ... وَلَكِنْ كَيْفَ تَرْسِمُ الْخَطَّةَ؟

أو "لا": حدد ما هي المشاكل والعوائق...

ثانية: حدد حلولاً مناسبة لهذه المشاكل والعوائق.

ثالثاً: على ضوء الإجابة السابقة حدد أهدافاً ت يريد أن تصل إليها خلال سنة أو فترة محددة.

رابعاً: ارسم وسائل لتحقيق الأهداف السابقة فعلى سبيل المثال: ان كان هدفك "جمع مبالغ لبناء مسجد" تكون الوسائل:

- أ- جمع تبرعات من البلدان الإسلامية.

بـ- طباعة منشورات وتحث على التبرع في البلد الذي سيبني به المسجد.

تـ- بيع بعض المواد ورصد ريعها لصالح المسجد... وهكذا...

خامساً: تقويم ومتابعة تنفيذ الخطة بعد فترة مناسبة من بدء التنفيذ لمعرفة التغيرات في التنفيذ، والخطوات السابقة صالحة لتنفيذ أعمال الجماعة الإسلامية بالإضافة إلى أزْهَهَه بالإمكان على المستوى الفردي أن يحدد كلّ "منا أهدافه والحلول لعيوبه أو الأمور التي يريد الوصول إليها... إذن لا بدّ من تخطيط العمل ومتابعته، لأن عدم مناقشة ومراجعة الأمور ترتب النتائج على المقدمات أو المسبيبات على الأسباب تحت شعار "ليس علينا إدراك النتائج" والاستسلام لها بهذه السهولة يفقدنا عملية الصواب والتوصيب التي لا تتحقق إلا بالعودة إلى معرفة التغيرات التي كانت سبباً في تخلف النتائج واستدراها، (قُلْ هُوَ مِنْ عَنْدِ رَبِّكُمْ) (آل عمران/ 165).

- 4- استغلال طاقات أفراد الجماعة:

وَضَّحَّتْ إِنَّ الْعَمَلَ مِنْ خَلَالِ جَمَاعَةٍ يَحْقُقُ وَيَقْرُبُ طَرِيقَ النَّصْرِ بِإِذْنِ إِلَهٍ وَعَلَى قِيَادَةِ هَذِهِ الْجَمَاعَةِ دُورٌ كَبِيرٌ فِي اسْتِكْشَافِ الطَّاقَاتِ وَالْمُبْيَوْلِ الْمُوجَودَةِ لَدِيِ الْأَفْرَادِ فَتَوَظَّفُ كُلُّ طَاقَةٍ حَسْبَ احْتِياجَاتِهَا. "ولن يتحقق الإعداد المطلوب إن لم تُسْتَجِسْ طَاقَاتُ الْإِنْسَانِ الْمُسْلِمِ كَافَةً، وَيُعَادُ تَشْكِيلُ عَقْلِهِ، كَمَا أَرَادَ لِهِ الْإِسْلَامُ أَنْ يَكُونَ لِيُتَمَكَّنَ مِنْ أَدَاءِ دُورَهِ فِي هَذِهِ الْمَهْمَةِ الْكَبِيرَةِ" وعلى هذا فعلى قيادة العمل تحريك الأفراد في العمل الإسلامي الكبير من خلال ما أودعهم إِلَيْهِ من قدرات وامكانيات، وكلّ فرد في الجماعة لا يخلو من قدرة حتى الأعمى العجوز، حيث عمد أحد الصحابة وكان أعمى كبيراً في السن للدخول في أحد المعارك فلما قيل له أنه معذور رد قائلاً: ابني أريد أن أكثّر سواد المسلمين!... فيما له من فقه عظيم لم يأخذ الرخصة ولو أخذها لكان معذوراً... ولكنها همة العمل واخلاص النية، وتحريك طاقة وقدرة وجدها في نفسه فإنه يميته!!... وعلى قيادة العمل أن تضع الرجل المناسب في المكان المناسب، فإن مواهب الأفراد عديدة.

إنَّ النَّاسَ تتأثِّرُ كثِيرًاٌ بِالرَّجُلِ الْعَالِمِ الصَّادِقِ الَّذِي يَعْمَلُ كثِيرًاٌ وَيَكْلُمُ قَلِيلًاٌ أَكْثَرُ مِنَ الرَّجُلِ الَّذِي يَتَكَلَّمُ كثِيرًاٌ وَيَعْمَلُ قَلِيلًاٌ... فَعَمَلَ الإِنْسَانُ هُوَ التَّطْبِيقُ الْعَمَلِيُّ لِمَا يَقُولُ فِي سَهْلِ أَخْدِ النَّاسِ بِمَا يَقُولُ، وَتَنْتَرِكُ حَرَارَةُ الْعَمَلِ أَثْرَهَا الْجَادُ فِي تَحْرِيكِهِمْ نَحْوَ الْحَيْرِ وَالصَّلَاحِ بَلْ يَجِدُ الإِنْسَانُ حِينَما يَتَحدَّثُ عَنْ خَلْقٍ هُوَ يَعْمَلُ بِهِ أَنْ هُنَّاكَ حَرَارَةُ الْكَلَامِ قَلِيلًاٌ يَجِدُهَا أَنْ حَدَّثَ النَّاسَ بِأَمْرٍ هُوَ لَا يَعْمَلُ بِهِ... وَالنَّاسُ فِي الْمَجَمِعِ يَتَأثِّرُ بَعْضُهُمْ بِبَعْضٍ بِالْأَفْعَالِ وَالْأَعْمَالِ لَا بِالْأَقْوَالِ يَوْضِحُ سَيِّدُ قُطُبِ هَذَا الْمَعْنَى فَيَقُولُ: "... وَانَّهَا لِحَقِيقَةٍ تَلْقَى عَلَى الْبَشَرِ تَبْعَةً ثَقِيلَةً، فَقَدْ قَضَتْ مَشِيَّةً إِلَّا وَجَرَتْ بِهِ سَنَتَهُ أَنْ تَتَرَبَّ مَشِيَّتَهُ بِالْبَشَرِ عَلَى تَصْرِيفِ هُؤُلَاءِ الْبَشَرِ وَأَنْ تَنْفَذْ فِيهِمْ سَنَتَهُ عَلَى تَعْرِضِهِمْ لِهَذِهِ السَّنَةِ بِسَلُوكِهِمْ" وَالنِّصْرُ صَرِيحٌ فِي هَذَا لَا يَحْتَمِلُ التَّأْوِيلُ وَهُوَ يَحْمِلُ كَذَلِكَ - إِلَى جَانِبِ التَّبْعَةِ - دَلِيلُ التَّكْرِيمِ لِهَذَا الْمُخْلُوقِ الَّذِي افْتَضَتْ مَشِيَّةً إِلَّا أَنْ يَكُونَ "هُوَ بِعَمْلِهِ أَدَاءُ التَّنْفِيذِ لِمَشِيَّةً إِلَّا فِيهِ" وَعَلَى هَذَا كَانَ صَحَّابَةُ الْمَصْطَفَى (ص) فَقَدْ كَانُوا مَصَابِحَ الْهَدَى لَا يَنْتَقِلُ أَحَدُهُمْ مِنْ آيَةٍ إِلَى آخَرَى يَحْفَظُهَا حَتَّى يَطْبَقَ مَا حَفِظَ، "وَعَلَى ذَلِكَ لَنْ يَتَغَيِّرَ وَضْعُنَا مِنْ جَدِيدٍ وَلَنْ يَحْدُثَ التَّحْوِلُ الْجَذْرِيُّ الْحَقِيقِيُّ الْمُنْشَوِدُ فِي حَيَاةِنَا، وَلَنْ نَأْخُذْ مَكَانَنَا فِي قِيَادَةِ أُمَّتِنَا وَقِيَادَةِ الْعَالَمِ، إِلَّا أَنْ نَصْدُدْ بِأَنْفُسِنَا إِلَى مَسْتَوِيِّنَا مِنْ حَمْلِوْنَا الرَّسَالَةَ أَوْلَى مَرَّةً إِلَى مَسْتَوِيِّ أَصْحَابِ الرَّسُولِ (ص) إِيْمَانًاٌ وَصَدَقًاٌ وَعِلْمًاٌ وَجَهَادًاٌ وَتَصْحِيفَةٍ".

إنَّ الْوَهْمَ مِنْ أَشَدِ عَوَائِقِ تَغْيِيرِ الْمَجَمِعِ، أَعْنِي بِذَلِكَ عَلَى سَبِيلِ الْمُثَالِ اعْطَاءِ الْعُدُوِّ حِجمًاٌ أَكْبَرَ مِنْ حَجْمِهِ وَقُوَّةِ أَكْثَرِ مِنَ الْقُوَّةِ الَّتِي يَمْتَلِكُهَا وَقَدْرَةِ خِيَالِهِ عَلَى الإِحْاطَةِ وَالدَّرَايَةِ... إِلَخ

إنَّ عَلَى الْمُسْلِمِ الْوَاعِيِّ الْإِنْتِباَهَ مِنْ مُنْزَلِقِ الْوَهْمِ فَلَا يَعْطِيُ الْأَمْرَوْنَ أَكْبَرَ مِنْ حَجْمِهَا الْحَقِيقِيِّ وَلَا يَكُونُ ذَلِكَ إِلَّا بَعْدِ تَصْدِيقِ كُلِّ مَا يَقُولُ وَالْتَّثْبِيتِ مَا يَكْتُبُ وَيَقَالُ وَتَحْلِيلِ ذَلِكَ تَحْلِيلًاٌ دَقِيقًاٌ "إِنَّ كَثِيرًاٌ مَا نَقُومُ بِهِ تَجَاهَ الْغَيْرِ مُبْنَىٰ عَلَى طَنَوْنٍ وَيَبْقَى سَلُوكُ الْإِنْسَانِ بِوَهْمِهِ مِنَ الْأَوْهَامِ إِلَّا إِنَّهُ يَصْدِقُ كَأَنَّهُ حَقِيقَةٌ"، فَإِنَّ الْوَهْمَ عَظِيمُ الْإِسْتِيَّلَاءِ عَلَى النَّفْسِ، وَلَذَلِكَ يَنْفَرُ طَبَعُ الْإِنْسَانِ عِنْ الدِّينِ الْمُبِيتِ فِي بَيْتِ فِيهِ مِيتٍ فَتَنَبَّهَ لِهَذِهِ الْمُثِيرَاتِ" فَعَلَى الْجَمَاعَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ الْإِسْتِفَادَةُ مِنْ مَرْصِدِ الْوَهْمِ النُّفُسيِّ وَالْإِسْتِثْمَارَهُ إِذَا نَعْدُ الْحَرْكَةَ الرَّامِدَ لَهَا لَا شَكَّ إِنَّهُ يَعْطِيَهَا - بِسَبِيلِ الْوَهْمِ - حِجمًاٌ أَكْبَرَ مِنْ حَجْمِهَا وَقُوَّةً أَكْبَرَ مِنْ قُوَّتها فَإِذَا اسْتَطَاعَتِ الْجَمَاعَةُ الْإِسْلَامِيَّةُ التَّحْرِكَ فِي الْمَجَمِعِ مِنْ خَلَلِ هَذَا الْمَنْتَهَى إِنَّهَا سَتَحْقِقُ أَهْدَافَهَا بِصُورَةِ أَسْرَعٍ "يَذَكِّرُ رَاسِلُ: أَنَّ الْخَوْفَ النَّاشِيَّءَ مِنَ الْأَوْهَامِ الْمُتَسَلِّطِ عَلَى عَقُولِ سَاسَةِ الْعَصَرِ الَّذِينَ يَشَرِّفُونَ عَلَى هَذَا الْعَالَمِ يَمْنَعُهُمْ مِنِ الْخَرُوجِ عَنِ الْمَشَاكِلِ الْوَهْمِيَّةِ الْمُحِيطَةِ بِهِمْ وَالَّتِي تَعْرِضُهُمْ لِأَخْطَارٍ مُتَزاِدَةٍ عَلَى مَرْزِقِ الْزَّمِنِ". ▶